

ثورة القضية العربية مول وهدى الشعب العربي في سورية ومصر

لا بد لي قبل ان اتطرق الى موضوع الوحدة بين القطرين العربيين مصر وسورية وللضرورات التي تحتمها في هذه الظروف بالذات ، من مقدمة بسيطة أشير فيها الى نظرتنا القومية الأساسية وتصورنا العام للقضية العربية منذ بدء حركتنا ، أي قبل خمسة عشر عاماً. إذ ان مواقفنا السياسية خلال هذه المدة لم تكن سوى تعبيرات جزئية ومرحلية عن تلك النظرة الاساسية .

لقد تصورنا قضيتنا العربية تصوراً ثورياً إنقلابياً، وهذا يعني اننا - خلافاً للنظرة التطورية الكاذبة السائدة إذ ذاك في جو السياسة العربية والتي لا يزال لها آثار في هذا الجو - اعتبرنا الحل الصحيح لقضيتنا هو في معالجة أوضاعنا من جذورها وفي إعادة النظر في أسس حياتنا ذاتها. ولم نكتف بأن قدمنا حلنا الثوري كمستوى أعلى من مستوى الحل التطوري ، بل كشفنا عن زيف الادعاء التطوري وما ينطوي عليه من خداع متعمد يقصد منه إخفاء المصالح الرجعية السياسية والاقتصادية من وطنية واستعمارية ، لحماية هذه المصالح وضمان استمرارها، فالتذرع بالتطور في مرحلة لا ينجح فيها إلا الانقلاب والثورة ، ليس إلا رجعية مقنعة ، وليس إلا سيراً في طريق تطورية كاذبة تعوق التطور الصحيح وتعاكس الثورة بدلاً من ان تكون مرحلة من مراحلها. وفي منطق نظرتنا الثورية مكان أصيل للتطور الصادق كمرحلة مؤدية الى

الثورة. إلا ان التطور الصادق لا يكون إلا منبعثاً ومولداً من العمل الثوري نفسه، أي بضغط القوى الشعبية الثورية على الواقع وبتفاعلها معه تفاعلاً موجهاً خلاقاً، وهذا ما تحقق فعلاً وظهر أثره في واقع الحياة العربية في السنوات الاخيرة. فقد حمل الضغط الشعبي الثوري الى جهاز الحكم في بعض الاقطار العربية افكاراً لم ير الحكام بدأ من الاستجابة لها، كما حمل هذا الضغط نفسه الى الحكم في مصر رجالاً لا مجرد افكار.

ولكن هذه النظرة الثورية الى قضيتنا العربية تتضمن اول ما تتضمن، وتفرض بشكل ضروري قاطع: وحدة القضية العربية وعدم جواز تجزئتها. وتبعاً لهذه النظرة، فان ما بدأ يتحقق من خطوات تقدمية - أي تطويرية صادقة - في السياسة الرسمية في مصر أولاً، وبدرجة ثانية في سورية، يستوجب ملاحظتين هما بمثابة الشرطين: أولاً - ان نعتبر جدية هذه الخطوات التقدمية وصدقها متناسبين دوماً مع مقدار الجدية والصدق في مراعاة وحدة القضية العربية، ثانياً - ان تبقى هذه الخطوات ومثيلاتها محمولة ومرتكزة دوماً على دعامة الضغط الشعبي الثوري وان تتحول هي نفسها الى تنمية وتوسيع وتعميق لهذا الضغط في القوة والوعي.

ووحدة القضية العربية تستتبع بالبداية تحقيق الوحدة العربية، والوحدة العربية تؤلف دوماً في نظرنا هدفاً ثورياً لا ينفصل عن القوة الثورية الوحيدة التي هي الشعب العربي، وعن مطالب هذا الشعب واهدافه الثورية الاخرى في التحرر من الاستعمار، وفي التحرر الداخلي: السياسي والاقتصادي والفكري. فثورية الوحدة العربية تعني إذن ان الوحدة لا تتحقق من فوق، وعلى الاساس الذي قامت عليه «جامعة الدول العربية»، بل من اعماق جماهير الشعب العربي، ممتزجة بصميم حاجات هذا الشعب، وبصميم نضاله التحرري والاجتماعي، وتعني ايضاً ان الوحدة، وان تكن تتطلب لكي تتحقق، وقتاً وجهداً ومراحل، فان امكان تحقيقها يشترط ان نتخذها بداية وموجهاً لنضالنا، أي ان تكون جميع خطواتنا الاخرى منفتحة عليها، متصلة بها، موصلة اليها، موضحين في سبيل ذلك بكثير من المصالح القطرية الآتية، متغلبين على العقبات التي تقيمها في وجهنا عقلية التجزئة، لأننا لن

نجد الوحدة في آخر طريقنا، اذا لم نضعها في اوله .

بالاستناد الى كل ما تقدم يمكن ان يفهم موقفنا من هذه الخطوة السليمة الضرورية التي هي وحدة مصر وسورية، كما يمكن أن يفهم لماذا كنا أول المطالبين بها مع جماهير الشعب العربي الموجهة توجيهاً قومياً سليماً في سورية والاردن والعراق ولبنان . ذلك لأن الدعامين الاساسيتين المكملتين لدعامة الوحدة واللتين هما الحرية والاشتراكية لا تتوافر شروطهما لقطر عربي مثل توافرها لمصر وسورية . وحتى بين هذين القطرين، وبالرغم من أسبقية سورية الزمنية في الدعوة للوحدة العربية، فإن شروط مصر اليوم من حيث كونها اكثر تحراً واستقلالاً حيال نفوذ الاستعمار وضغطه، وأكثر استجابة لحاجات الشعب الاجتماعية تجعلها اكثر استجابة لمطلب الوحدة القومية وحاجة الشعب اليها . وجدير بنا أن نتبين حقيقة التطور الذي طرأ في هذه الناحية على مصر في عهدنا الجديد : فباستثناء التأثير التاريخي العميق الذي أحدثته معركة فلسطين فيها وفي غيرها من أقطار العروبة على السواء، فإن الاتجاه العربي الجديد في مصر لم يأتيها من غيرها ما كان نابغاً من داخلها ومن صميم الشعب العربي فيها بمجرد ما انهار أمام هذا الشعب السدان المنيعان : سد الاستعمار وسد الطغيان والرجعية وتهدأت له الشروط السليمة كي يسترجع عفويته ويلتقي من جديد بشخصيته العربية الاصيله .

لهذا كله نؤمن بأن وحدة مصر وسورية ستكون وحدة سليمة من كل أثر استعماري، ووحدة شعبية صحيحة تزخر بامكانيات القوة والتحرر والبناء، وتشكل نقطة جذب قوي يضمن لها في وقت قريب أن تسع الامة العربية جمعاء .

٢٥ نيسان ١٩٥٦